

(وقد) ورد أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: أوصني.. فقال له:
 «لا تتشاغل عما فُرض عليك بما ضُمن لك، فإنه ليس بفائتك ما قُسم لك،
 ولست بلاحق مازوى عنك».
 (مع) الأخذ بأسباب التوسعة إن شئنا.. كما يشير إلى هذا قول الله - تبارك
 وتعالى -:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ (١). وقوله: ﴿وَمَنْ
 يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافًا كَثِيرًا وَسَعَةً...﴾ (٢).

(وأخيراً) وحتى لا أطيل عليكم.. فإنني أريد الآن.. وبعد هذا التقديم الذي
 أردت به أن أمهد لما سأدور حوله بعد ذلك، بالنسبة لأهم مراحل الحياة الأولى
 وما بعدها.. من نزول في القبر.. إلى ما بعد ذلك من بعث، وحشر،
 وحساب، وميزان، وصراط، وشفاعة، ونار، وجنة.. إلخ.. فإنني أريد أن أبدأ
 الآن في تلخيص ما قبل ميلاد الإنسان.. وما ينبغي على الوالد أن يلاحظه؛
 حتى يكون المولود هذا مباركاً ومن الصالحين، أو من الصالحات - إذا كان أنثى -
 فإن الله تعالى هو الذي يهب هذا أو ذاك.. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى:
 ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ
 لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ
 قَدِيرٌ﴾ (٣).

كيف نحسن اختيار الزوجة:

فإنه ينبغي على هذا الوالد - أولاً - أن: يُحسِّن اختيارَ الزوجة التي ستكون
 أمّاً بعد ذلك - إن شاء الله - فإن هذا هو أهم حق من حقوق الأبناء على
 الآباء.. لأن الأبناء يشرفهم أن تكون أمهم من أصل طيب، ومن أسرة فاضلة..

(١) البقرة، من الآية: ١٩٨ .

(٢) النساء، من الآية: ١٠٠ .

(٣) الشورى، الآيتان: ٤٩ ، ٥٠ .

تربى أبناءها وبناتها - بصفة خاصة - على الفضيلة واحترام الزوج، وحسن تربية الأبناء..

(فعن) عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ، قال:

«الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»^(١).

رواه مسلم والنسائي، وابن ماجه ولفظه قال:

«إنما الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة».

أى التى تُعينُ زوجها على دينه، وتدخلُ السرور إلى قلبه، وتُسرِّيَ لهم عنه، وتؤانسُه وتلاطفه، ويجد عندها السَّكنَ، والطمأنينة واللذة الحلال.

(فعن) أبى أُمَامَةَ - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه كان يقول:

«ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله - عز وجل - خيراً له من زوجة صالحة»^(٢): إن أمرها أطاعته^(٣)، وإن نظر إليها سرته^(٤)، وإن أقسم عليها أبرته^(٥)، وإن غاب عنها، نصحتهُ فى نفسها وماله»^(٦).

رواه ابن ماجه عن على بن زيد عن القاسم عنه.

(وعلى) الزوج الصالح - إن شاء الله، بعد أن يحسن اختيار زوجته على هذا الأساس، الذى وقف عليه - أن يؤدى للزوجة حقها أو حقوقها، حتى تؤدى له حقوقه، وهى سعيدة به:

(١) بل وهى حسنة الدنيا، كما أشار إلى هذا قول الله تعالى: «وَبَنَّا آتَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ» البقرة، من الآية: ٢٠١.

(٢) أى: برة تقية عفيفة نقية عاقلة مهذبة كثيرة الشكر، قليلة الشكوى، رحيمة القلب...

(٣) أى فيما لا معصية فيه لله عز وجل، فإنه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

(٤) يعنى لا يقع نظره عليها إلا ويحس بالسرور والفرح، فهى دائمة الابتسام نظيفة اليد والثياب، جميلة الحركات... إلخ.

(٥) يعنى إن حلف على شيء أن تفعله أولاً تفعله أبرت يمينه ولم توقعه فى الخنث.

(٦) ونصحتها له فى نفسها أن لا تخرج من بيتها ما دام غائباً إلا لضرورة، وأن لا تسمح لأحد من الرجال بالدخول عليها، وأن لا توطئ فراشه من يكره، وأن تكون على الحال التى يحبها منها، ونصحتها له فى ماله أن يجتهد فى حفظه وتنميته، وأن لا تنفق منه إلا بقدر حاجتها بلا تبذير ولا تقتير... إلخ.

(فعن) معاوية بن حيدة - رضى الله عنه - قال :

قلت: يارسول الله: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تُطعمها إذا طعمت^(١)، وتكسوها إذا اكتسيت^(٢)، ولا تضرب الوجه^(٣)، ولا تقبّح^(٤)، ولا تهجر إلا في البيت»^(٥).

رواه أبو داود، وابن حبان في صحيحه.

إلا أنه قال: إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما حق المرأة على الزوج وذكره.

(وعن) عمرو بن الأحوص الجُشَمِيُّ رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ. ثم قال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هنَّ عوان^(٦) عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مُبينّة^(٧) فإنَّ فعلنَ فاهجروهنَّ في المضاجع^(٨) واضربوهن ضرباً غير مبرِّح^(٩)، فإنَّ أطعنكم^(١٠) فلا تبغوا عليهن سبيلاً^(١١)، ألا إن لكم على نسائكم حقّاً، ولنسائكم عليكم حقّاً، فحقكم عليهن أن لا يوطئن

(١) أى أن تطعمها من الطعام الذى تأكل منه.

(٢) أى أن توفر لها الكسوة اللائقة بمثلها كما تقوم بكسوة نفسك.

(٣) أى اجتنب الوجه إذا احتجت إلى ضربها للنشوز أو لتركها بعض الفرائض.

(٤) أى لا تقبح صورتها بضرب الوجه ولا تنسب شيئاً من أقوالها وأفعالها إلى القبح، ولا تقل لها قبح الله وجهك.

(٥) أى لا يهجرها إلا في المضجع، ولا يتحول عنها، ولا يحولها إلى دار أخرى.

(٦) أى أسيرات عندكم فى بيوتكم، والمراد تشبيه المرأة بالأسير فى لزومها بيت الزوجية، فلا تخرج منه إلا بإذن زوجها وغير ذلك.

(٧) أى إلا وقت إتيانهن بفاحشة مبينة، أى ظاهرة فحشا وقبحاً. والمراد النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله باللسان واليد، وليس المراد بها الزنا.

(٨) قال ابن عباس: (الهجر هو أن لا يجامعها ويضاجعها على فراشها ويوليها ظهره ولا يكلمها مع ذلك ولا يحدثها) وقال قتادة: الهجر هو أن لا يضاجعها.

(٩) يعنى غير مؤثر بأن لا يكسر فيها عضواً، ولا يحدث فيها شيئاً كما قال الحسن البصرى رحمه الله.

(١٠) أى فى ترك النشوز.

(١١) أى لا تتلمسوا الأسباب لأذيتهن وتوبيخنهن بل اعفوا واصفحوا.

فَرُّشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنُ فِي بَيْوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ».

رواه ابن ماجه، والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

(هذا) مع ملاحظة أن يكون الأخ الزوج حسن الخلق مع أهله:

(فعن) أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا (١) أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا (٢)، وَخَيْرُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ».

رواه الترمذى، وابن حبان فى صحيحه، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

قال فى النهاية: (هو إشارة إلى صلة الرحم والحث عليها)، وقيل: المراد بالنساء الحلائل، وهو أن يعامل زوجته بطلاقة الوجه، وكف الأذى والإحسان إليها، والصبر على أذاها، وحفظها عن مواقع الريب، وقيل: المراد بهن ما يشمل الأصول والفروع، وهو أتم.. فينبغى معاملة جميع النساء حتى خواتمه بالحلم والملاطفة، وعدم التشديد لعوجهن ونقص عقولهن.

(وعن) عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ:

«خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي».

رواه ابن حبان فى صحيحه.

(وأن تكون) الأخت الزوجة حريصة على أن يكون زوجها عنها راضٍ.

(فعن) أم سلمة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ:

«أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ».

رواه ابن ماجه، والترمذى وحسنه، والحاكم، كلهم عن مساور الحميرى، عن

أمه، عنها، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(ولكى) يكون زوجها عنها راضيا، وتكون من أهل الجنة.. لا بد أن تنفذ

المراد من الأحاديث الآتية بكل ما أوتيت من صدق وإيمان.

(١) أى أكملهم عملاً بمقتضى الإيمان...

(٢) أى أكثرهم برّاً ولطفاً وتواضعاً وحلماً وجميل عشرة وكرام مودة... إلخ.

(فعن) أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:
 «إذا صلت المرأة خمسها^(١). وحصنت فرجها^(٢)، وأطاعت بعلها^(٣): دخلت
 من أى أبواب الجنة شاءت»^(٤).

رواه ابن حبان فى صحيحه.

(وعن) حُصَيْن بن محصَن - رضى الله عنه - أن عمَةً له أُنْتُ النَّبِىَّ ﷺ، فقال
 لها: «أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتُ؟»^(٥) قالت: نعم، قال: «فَأَيْنَ أَنْتُ مِنْهُ؟»^(٦) قالت: ما أُلُوهُ
 إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ^(٧) قَالَ: «فَكَيْفَ أَنْتُ؟»^(٨) لَهُ؟ فَإِنَّهُ جَنَّتُكَ وَنَارُكَ»^(٩).

رواه أحمد والنسائى بإسنادين جيدين، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(وعن) أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لامرأة أن
 تصوم^(١٠)، وزوجها شاهد^(١١) إِلَّا بِإِذْنِهِ»^(١٢)، ولا تأذن فى بيته^(١٣) إِلَّا بِإِذْنِهِ».

رواه البخارى واللفظ له، ومسلم وغيرهما.

(وعن) زيد بن أرقم - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا ينظر الله تبارك وتعالى^(١٤) إلى امرأة لا تشكر لزوجها»^(١٥) وهى لا تستغنى
 عنه»^(١٦).

(١) أى الصلوات الخمس التى كتبهن الله عليها فى اليوم واللييلة.

(٢) أى حفظته من الزنا.

(٣) أى زوجها.

(٤) يعنى فتحت لها سائر أبواب الجنة لتدخل من أيها أرادت.

(٥) يعنى هل أنت متزوجة.

(٦) أى كيف معاملتك له.

(٧) أى لا أقصر فى شئ من حقه إلا فيما لا أستطيعه.

(٨) أى على أى حال أنت فى معاشرتك له.

(٩) يعنى إن أطعته دخلت الجنة وإن عصيته دخلت النار.

(١٠) أى صيام تطوع.

(١١) أى غير مسافر.

(١٢) أى إلا إذا أذن لها فى الصيام التطوع.. أما صوم الفرض أو النذر فلا يحتاج إلى الإذن لأنه واجب
 حتم فلا يتوقف على إذن أحد.

(١٣) أى بدخول أحد من الناس فيه، إذا كانت تعلم أن زوجها يكرهه.. ولا سيما إذا كان الزوج غائباً..

(١٤) يعنى نظر رحمة ورضا، والمراد أنه يكون ساخطاً عليها.

(١٥) أى لاتعترف بإحسانه وفضله ولا تقوم له بحقه عليها.

(١٦) يعنى والحال أنها محتاجة إليه، فهو الذى يقوم بحمايتها والإنفاق عليها.

رواه النسائي والبخاري بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

(وعن) طلق بن علي - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته^(١) فلتأته^(٢)، وإن كانت على التنور»^(٣).

رواه الترمذى، وقال: حديث حسن، والنسائي، وابن حبان فى صحيحه.

(وعن) أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته^(٤)، فبات غضباناً عليها: لعنتها الملائكة^(٥)، حتى تصبح».

رواه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والنسائي.

(هذا) وإذا تم العقد الشرعى - بشروطه^(٦) - بين العروسين.. فإنه ينبغى على الزوج أن يلاحظ فى أول ليلة معها أن يُصلياً صلاة العشاء إذا لم يكونا قد صلياًها.. أو يُصلياً ركعتين لله رب العالمين، ولو على سبيل الشكر على تلك النعمة، التى أنعم الله تعالى عليهما بها.. ألا وهى الزواج الذى هو من أعظم آيات الله - تبارك وتعالى -.. كما يشير إلى هذا قول الله - تبارك وتعالى -:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الروم: ٢١].

(ولاسيما) إذا كانت العروس هذه ودوداً^(٧) ولوداً^(٨) (فعن) معقل بن يسار رضى الله عنه، قال:

(١) أى لقضاء حاجته معها.

(٢) واللام هنا للامر، وهو يقتضى الوجوب.

(٣) أما وإن كانت تخبز على التنور - وهو ما يخبز فيه.. وذلك مشروط بعدم خوفها التلف للخبز، فإنه إضاعة مال.. وكذلك إذا كانت حائضاً أو نفساء - فإنه يحرم عليها أن تلبى مطلبه.

(٤) أى امتنعت عن إجابته بلا سبب شرعى أو صحى.

(٥) أى سبتها وذمتها ودعت عليها.

(٦) التى من أهمها فيما يتعلق بالصيغة - الإيجاب والقبول -:

(أ) أن تكون بالفاظ مخصوصة نص عليها الفقهاء فى كتبهم.

(ب) أن يكون الإيجاب والقبول فى مجلس واحد.

(ج) ألا يخالف الإيجاب والقبول

(د) أن تكون الصيغة مسموعة للعاقدين.

(هـ) ألا يكون اللفظ مؤقتاً بوقت.

(٧) أى الكثيرة الود لزوجها.

(٨) أى الكثيرة الولادة.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله: إننى أصبتُ ذات حَسَبٍ ومنَصِبٍ^(١) ومال، إلا أنها لا تلد، أفأتزوجها؟ فنهاء، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة فقال له: «تزوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، فَإِنِّى مَكَاثِرُ بِكُمْ^(٢) الْأُمَمَ».

رواه أبو داود، والنسائى، والحاكم واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد.
(وهناك) ملاحظة مهمة.. لابد كذلك وأن يلاحظها الأخ الزوج.. وهى أن يكون دائماً وأبداً أمراً لأهله بالصلاة.. مع ضرورة أن يكون قدوة لهم فى تنفيذ هذا الأمر فى وقته.. دون نقص أو تأخير.. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا^(٣) لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [سورة طه: ١٣٢].

(وقد) أشار فى (الفقه الواضح) ج ٢ ص ١٩، ٢٠ وما بعدهما إلى ملاحظات مهمة، تتعلق بتفسير هذه الآية، فقال:

والأمر فى الآية للنبي ﷺ. والأهل فيها هم: أمته جميعاً، كما قال القرطبى فى تفسيره^(٤).

(غير) أن لفظ (الأهل) يراد به - فى الغالب - الأقارب، ويطلق كثيراً على الزوجة.. (ولابأس) أن يراد بالأهل فى الآية كل مسلم، تستطيع أن تأمره بالصلاة.. فالمسلمون جميعاً إخوة، والإخوة أهل، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب.. (بل) هو من أهم الواجبات..

ولاريب أن ترك الصلاة من أكبر المنكرات.. (لهذا) وجب على ولى أمر

(١) أى ذات مركز دنيوى وجاه.

(٢) أى مفاخرهم ومباهيهم بكثرتكم يوم القيامة.

(٣) أى لا تيأس من أمرهم بالصلاة.. واصبر على هذا.

(٤) ص ٢٦٣، ج ١١، طبعة دار الكتب.

المسلمين - على الخصوص - أن يأمر تارك الصلاة بإقامتها.. فإن أقامها فيها..
وإلا حملة عليها قَسْرًا^(١)، بأن يعذبه بالضرب والسجن.. ولو أدى تعذيبه
وسجنه إلى موته..

(ويجب) أن يقوم بهذا الأمر - أعنى الأمر بإقامة الصلاة - العلماء أيضًا؛ فهم
أولياء الأمر شرعًا، وهم شركاء الوالى فى إصلاح شئون المسلمين، وهم
المستولون أمام الله عن كل انحراف، وعن كل فريضة من فرائض الإسلام.
ثم بعد ذلك يقول تحت عنوان:

أمر الزوج زوجته بالصلاة:

والزوجة من الأهل، بل يطلق لفظ (الأهل) عليها كثيرًا - كما عرفت - لهذا
يجب على الزوج أن يأمرها بالصلاة من أول ليلة تدخل عليه فيها أمرًا لاهوادة
فيه.. (فإن) امتثلت لأمر الله فذلك توفيق من الله، يُحمد عليه.. وإلاَّ وجب
عليه - أولاً - أن يعظها، ويذكرها بعذاب الله - عز وجل - ويحذرها مقته
وغضبه، فإن قبلت النصح فذاك.. وإلا وجب عليه أن يهجرها فى المضجع،
فإن خضعت لأمر الله وأقامت الصلاة، فيها.. وإلا وجب عليه ضربها - ضربًا
غير مبرح - حتى تفتى إلى أمر الله، وتقيم الصلاة..

ثم يقول - أكرمه الله -: فالزوجة هى ربة البيت.. وهى مدرسة لأولادها -
إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق، وهى الأمانة على مال زوجها
وعرضه.. فإن أقامت الصلاة صحَّ دينها وصلح حالها، واقتدى بها أولادها،
فصلوا بصلاتها، فيكون بيتها مثلاً للبيوت المؤمنة.

والمرأة التى تستنكف أن تقيم الصلاة، أو تتكاسل عن أدائها، امرأة لادين لها؛
وبالتالى لا أمان ولا أمانة لها.

(١) أى بالقوة.

وقد أوصانا النبي ﷺ: أن نكح ذات الدين، فقال: «فاظفر بذات الدين، تربت يداك».

ومعنى الظفر: نهاية البُغية.

أى: وليكن أسمى ما تبتغيه من الزوجة: دينها، فإن لم تفعل تربت يداك، أى افتقرت حتى تلتصق يداك بالتراب من شدة الحاجة.

والحديث أخرجه البخارى.

(هذا) وإذا كان الأخ الزوج سيقوم بعد ذلك بجماع زوجته تحقيقاً للهدف الأسمى من هذا الزواج، وهو المشار إليه فى الوصية، التى يقول فيها الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - مخاطبا الشباب - من الذكور والإناث -:

«يا معشر الشباب^(١): من استطاع منكم الباءة^(٢) فليتزوج^(٣)، فإنه أغض للبصر^(٤) وأحصن للفرج^(٥)، ومن لم يستطع فعليه بالصوم^(٦) فإنه له وجاء^(٧)».

رواه البخارى ومسلم واللفظ لهما، وأبو داود والترمذى والنسائى.

(أقول): إذا كان الأخ الزوج سيقوم بعد ذلك بجماعة عروسه.. فإننى أرى أن أذكره الآن بأهم:

ما يتعلق بالجماع^(٨)

كما جاء فى زاد المعاد ص ١٤٦، فلقط قال: (وأما) الجماع والباء، فكان هديه

(١) وإنما خص الشباب.. لأن الغالب وجود قوة الدواعى فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ.

(٢) قال فى النهاية: (يقال فيه الباءة والباء، وقد يقصر، وهو من المباءة، أى المنزل؛ لأن من تزوج امرأة بواها منزلا، وقيل: لأن الرجل تبوا من أهله أن يستمكن كما يتبوا من منزله) اهـ.

(٣) واللام هنا للأمر وظاهره الوجوب.. لاسيما إذا خاف العنت وهو الوقوع فى الزنا.

(٤) أى أشد خفضا وكسرا للبصر لأنه بالزواج تسكن شهوته.

(٥) أى أشد إحصانا للفرج ومنعها لها من الوقوع فى الفاحشة.

(٦) أى فليكثر من الصيام التطوع.

(٧) أى مضعف لشهوته.

(٨) كما جاء فى (الطب النبوى) ص ١٩٤.

فيه - صلوات الله وسلامه عليه - أكمل هدى: تحفظ به الصحة، ويتم به اللذة وسرور النفس، ويحصل به مقاصده التى وضع لأجلها. فإن الجماع وُضع فى الأصل لثلاثة أمور، هى مقاصده الأصلية:

(أحدها): حفظ النسل، ودوام النوع الإنسانى إلى أن تتكامل العدة التى قدر الله بروزها إلى هذا العالم.

(الثانى): إخراج الماء الذى يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن.

(الثالث): قضاء الوطر، ونيل اللذة، والتمتع بالنعمة. وهذه - وحدها - هى الفائدة التى فى الجنة؛ إذ لا تناسل هناك، ولا احتقان يستفرغه الإنزال.

(وفضلاء) الأطباء يرون أن الجماع من أحمَد أسباب حفظ الصحة.

قال جالينوس: (الغالب على جوهر المنى: النار والهواء. ومزاجه حار رطب لأن كونه من الدم الصافى الذى تتغذى به الأعضاء الأصلية.

(وإذا) ثبت فضل المنى فاعلم: أنه لا ينبغى إخراجهِ إلا فى طلب النسل، أو إخراج المُحتَقَنِ منه. فإنه إذا دام احتقانه أحدث أمراضاً رديئة، منها: الوسواس والجنون والصَّرَع، وغير ذلك، وقد يُبرئ استعماله من هذه الأمراض كثيراً؛ فإنه إذا طال احتباسه فسد واستحال إلى كيفية سُمِّيَّة، توجب أمراضاً رديئة كما ذكرنا. ولذلك تدفعه الطبيعة - إذا كثر عندها - من غير جماع^(١).

وقال بعض السلف:

(ينبغى للرجل أن يتعاهد من نفسه ثلاثاً: ينبغى أن لا يدع المشى، فإن احتاج إليه يوماً قدَّر عليه. وينبغى أن لا يدع الأكل، فإن أمعاه تضيق، وينبغى أن لا يدع الجماع، فإن البئر إذا لم تنزح ذهب ماؤها).

وقال محمد بن زكريا:

(مَنْ ترك الجماع مدة طويلة ضَعُفَتْ قُوَى أعضائه واستدَّ مجاريها، وتقلَّصَ

(١) كما يحدث بالنسبة للاحتلام المنامى.

ذَكَرَهُ. (قال): ورأيت جماعة تركوه لنوع من التقشُّف: فبرَدَت أبدانهم، وعُسِرَت حركاتهم، ووقعت عليهم كآبة بلاسبب، وقلت شهواتهم وهضمهم) ١هـ.

(ومن) منافعه: غَضُّ البصر، وكف النفس، والقدرة على العفة عن الحرام، وتحصيل ذلك للمرأة، فهو ينفع نفسه في دنياه وأخراه، وينفع المرأة. (ولذلك) كان النبي ﷺ يتعاهده ويحبه ويقول: «حُبُّ إِيَّايَ مِنْ دِينِكُمْ النَّسَاءُ وَالطَّيِّبُ..».

وفى كتاب (الزهد) للإمام أحمد - فى هذا الحديث - زيادة لطيفة، وهى: «أصبر عن الطعام والشراب، ولا أصبر عنهن».

(وما) ينبغى تقديمه على الجماع: ملاعبته المرأة وتقيلها، ومصُّ لسانها.

وكان رسول الله ﷺ يلاعب أهله ويقيلها. (وروى) أبو داود فى سننه: «أنه ﷺ كان يقبل عائشة ويمصُّ لسانها». ويذكر عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال: «نهى رسول الله ﷺ عن المواقعة^(١) قبل الملاعبة».

وكان رسول الله ﷺ ربُّما جامع نساءه كُلَّهنَّ بغُسل واحد، وربما اغتسل عند كل واحدة منهن، فروى مسلم فى صحيحه، عن أنس: «أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه بغُسل واحد».

وروى أبو داود فى سننه - عن أبى رافع مولى رسول الله ﷺ - «أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه فى ليلة، فاغتسل عند كل امرأة منهن غُسلًا، فقلت: يا رسول الله: لو اغتسلت غُسلًا واحدًا؟ فقال: هذا أظهُرُّ وأطيب».

(وشرع) للمجامع - إذا أراد العُودَ إلى الجماع قبل الغُسل - الوضوء قبل الجماعين^(٢)، كما روى مسلم فى صحيحه - من حديث أبى سعيد الخدرى - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتى أحدكم أهله، ثم أراد أن يعود فليتوضأ».

(وفى) الغُسل والوضوء بعد الوطء - من النشاط وطيب النفس، وإخلاف

(١) أى عن الجماع قبل المداعبة.

(٢) وهذا الوضوء وضوء لغوى لا تجوز الصلاة به، وإنما هو للأسباب التى سنفق عليها بعد ذلك.

بعض ما تحلل بالجماع، وكمال الطهر والنظافة، واجتماع الحار الغريزى إلى داخل البدن بعد انتشاره بالجماع، وحصول النظافة التى يحبها الله ويُبغضُ خلافها - ما هو من أحسن التدبير فى الجماع، وحفظ الصحة والقوى فيه... ثم بعد ذلك يقول:

(فصل) وأنفع الجماع: ما حصل بعد الهضم، وعند اعتدال البدن: فى حره وبرده ويبوسته ورطوبته، وخلائه وامتلائه (وضرره) عند امتلاء البدن أسهل وأقل من ضرره عند خلوه. (وكذلك) ضرره عند كثرة الرطوبة: أقل منه عند اليبوسة، (وعند) حرارته: أقل منه عند برودته. (وإنما) ينبغى أن يُجامع إذا اشتدت الشهوة، وحصل الانتشار التام الذى ليس عن تكلف، ولا فكر فى صورة، ولا نظر متتابع... ثم يقول:

(ولا ينبغى) أن يستدعى شهوة الجماع ويتكلفها، ويحمل نفسه عليها.. وليبادر إليه إذا هاجت به كثرة المنى، واشتد شوقه. وليحذر جماع العجوز، والصغيرة - التى لا يوطأ مثلها، والتى لا شهوة لها - والمريضة، والقيحة المنظر، والبغيضة؛ فوطء هؤلاء يؤهن القوى ويُضعف الجماع بالخاصية...

إلى أن يقول بعد ذلك: (وأحسن أشكال الجماع): أن يعلو الرجل المرأة مُستفرشاً لها، بعد الملاعبة والقبلة، وبهذا سُميت المرأة فِراشاً، كما قال ﷺ «المرأة للفراش». وهذا من تمام قوامية الرجل على المرأة، كما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾^(١).. ثم يقول:

(وأردأ) أشكاله: أن تعلوه المرأة، ويجامعها على ظهره. وهو خلاف الشكل الطبيعى الذى طبع الله عليه الرجل والمرأة، بل نوع الذكر والأنثى^(٢). وفيه من المفساد: أن المنى يتعسر خروجه فربما بقى فى العضو منه بقية فيتعفن، فيضر. (وأيضاً): فربما سال إلى الذكر رطوبات من الفرج. (وأيضاً): فإن الرحم لا يتمكن من الاشتمال على الماء، واجتماعه فيه، وانضمامه عليه - لتخليق الولد.

(١) النساء: من الآية: ٣٤ .

(٢) حتى بالنسبة للحيوانات والطيور.

(وأيضاً): فإن المرأة مفعول بها طبعاً وشرعاً، وإذا كانت فاعلة، خالفت مقتضى الطبع والشرع...

(وأما الدُّبر: فلم يُحَ قَطُّ على لسان نبي من الأنبياء... (وفى) سنن أبي داود عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى المرأة في دُبُرِها». وفى لفظ لأحمد وابن ماجه: «لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دُبُرِها» وفى لفظ الترمذى وأحمد: «من أتى حائضاً، أو امرأته في دُبُرِها، أو كاهنًا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» وفى لفظ للبيهقى: «من أتى شيئاً - من الرجال والنساء - فى الأدبار: فقد كفر».

وفى المسند أيضاً، عن ابن عباس قال: (أنزلت هذه الآية: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾^(١)، فى أناسٍ من الأنصار: أتوا رسول الله ﷺ فسألوه. فقال: «ائتها على كل حال إذا كان فى الفرج».

(وفى المسند) أيضاً، عن ابن عباس، قال: «جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: هلكتُ. فقال: وما الذى أهلكك؟ قال: حَوَّلْتُ رَحْلِي الْبَارِحَةَ. (وقال): فلم يردَّ عليه شيئاً، فأوحى الله إلى رسوله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾^(٢) أُنْئِ شَيْئُكُمْ^(٣) أَقْبِلْ وَأَذْبِرْ، واتق الحِيضَةَ والدُّبُرَ».

(وفى الترمذى) عن ابن عباس مرفوعاً: «لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة فى الدُّبر».

وقد أشار فى (الفقه الواضح) ج ١ ص ١٢٧ وما بعدها إلى ملاحظات مهمة تتعلق بجماع الرجل زوجته إذا كانت حائضاً أو نفساء.. فذكر أن حرمة ذلك ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة..

(١) البقرة، من الآية: ٢٢٣ .

(٢) يعنى الفرج . كما قال ابن عباس رضى الله عنهما .

(٣) أى من حيث شئتم: من أمام أو من خلف .

قال تعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١).

وروى أحمد ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه حين نزلت هذه الآية: «اصنعوا كل شيء إلا الجماع» وقد نص الشافعي على أن جماع الحائض والنفساء كبيرة من الكبائر..

(وقال) النووى - رحمه الله :- (. لو اعتقد مسلم حلَّ جماع الحائض والنفساء فى فرجها صار كافراً مُرتدّاً، ولو فعله غير معتقد حلّه ناسياً أو جاهلاً الحرمة أو وجود الحيض، فلا حرمة ولا كفارة (٢). وإن فعله عامداً عالماً بالحيض والتحريم مختاراً فقد ارتكب معصية) اهـ.

ثم يقول :

(وكما) تكون الحرمة على الرجل تكون على المرأة إن أخفت عليه وجود الدم، أو رضيت بالجماع دون مقاومة، ولم تكن مُكرهةً. ثم يقول بعد ذلك فى (الفقه الواضح) تحت عنوان :

الاستمتاع بما دون الفرج:

يرى جمهور الفقهاء جواز ذلك (واستدلوا) بحديث أنس - رضى الله عنه - قال: إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يجامعوها، ولقد سأل أصحاب رسول الله ﷺ، فأنزل الله - عز وجل -: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ ﴾ (٣) فقال الرسول ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا الجماع» رواه أحمد ومسلم.

(١) البقرة: ٢٢٢.

(٢) يرى جمهور الفقهاء من الشافعية أنه من جامع امرأته فى حيضها أو نفاسها، وجب عليه إخراج كفارة وهى دينار من ذهب.. ولهم فى ذلك تفصيلات فراجعها - إن شئت - فى شرح المذهب للإمام النووى. اهـ.

(٣) البقرة: ٢٢٢.

(وعن) مسروق بن الأجدع - رضى الله عنه - قال: سألت عائشة - رضى الله عنها -: ما للرجل من امرأته إذا كانت حائضاً؟ قالت: كل شيء إلا الفرج. رواه البخارى فى تاريخه.

ثم يقول بعد ذلك تحت عنوان:

لاجماع إلا بعد الاغتسال:

يرى جمهور الفقهاء: أنه لا يجوز جماعها إلا بعد أن تغتسل؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ أى: يفعلن ما يطهرن به وهو الاغتسال. ﴿فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ (١).

.. فعلى العروسين.. أن يلاحظا كل هذا.. حتى ينفذاه عند حدوث حيض أو نفاس بعد هذا (٢).. (وعليهما) أيضاً عندما يتهيآن للجماع - فى ليلة الزفاف - وفى لقاء جماعى بعد هذا - ليلاً أو نهاراً - باستثناء نهار رمضان (٣)، أن يقول كل واحد منهما ما ورد فى البخارى ومسلم (عن) ابن عباس - رضى الله عنهما - من طرق كثيرة عن النبى ﷺ، قال:

«لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضى بينهما ولد لم يضره» وفى رواية البخارى: «لم يضره شيطان أبداً».

(وذلك) حتى يكون الحمل - إن شاء الله تعالى - مباركاً، فقد ورد فى الحديث: «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتى» (٤) أى: ناقص لا بركة فيه.

(١) البقرة: ٢٢٢.

(٢) أما إذا نزل الدم بعد انتهاء مدة العادة الشهرية، وبعد الطهر من الحيض.. فإن الدم الآخر هذا يسمى دم الاستحاضة. وهو لا يمنع صلاة ولا صوماً ولا وطاً.. ولا قراءة للقرآن ولا دخولاً للمسجد.. إلخ، وإنما عليها أن تتوضأ لوقت كل صلاة.. وقد ورد أن النبى ﷺ قال للمستحاضة: «صلى وإن قطر الدم على الحصى قطراً».

(٣) لأن الجماع فى نهار رمضان حرام على الزوج والزوجة وعليهما الكفارة...

(٤) وهو حديث صحيح.

(وعلى) العروسين بعد ذلك.. وقبل الفجر أن يغتسلا من الجنابة؛ حتى يُصلياً صلاة الصبح قبل طلوع الشمس.. وإلا كانا من أهل الويل^(١) المشار إليهم فى قول الله تعالى:

﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(٢) أى الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها.. (وهذا) بالنسبة لكل صلاة من الصلوات الخمس المفروضة علينا.. لأن الصلاة هى أهم ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين.. وهى عماد الدين.. من أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين..

(ولابد) أن تكون الصلاة صلاة مطمئنة ومعتدلة فى جميع الأركان (فعن) أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: دخل رجل المسجد فصلى، ثم جاء إلى النبى ﷺ يسلم، فردَّ عليه السلام، وقال: «ارجع فصل، فإنك لم تُصل» فرجع ففعل ذلك ثلاث مرات. قال: فقال: والذى بعثك بالحق ما أحسن غير هذا، فعلمنى؟.. قال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً؛ ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها»^(٣).

رواه البخارى ومسلم.

(وعليهما) كذلك أن يحافظا على السنن القبلية والبعديّة لكل صلاة من الصلوات الخمس.. كما كان يفعل رسول الله ﷺ (فعن) المغيرة بن سليمان قال: سمعت ابن عمر يقول: «كانت صلاة رسول الله ﷺ أن لا يدع ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الصبح».

(١) الويل: أى العذاب.. وقيل: وادٍ فى جهنم والعياذ بالله...

(٢) سورة الماعون: ٤، ٥.

(٣) وهذا الحديث يسمى حديث المسبى فى صلاته.

رواه أحمد بسند جيد.

(وعن) ابن عمر، قال: «حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبل الصبح».

رواه البخارى.

(وذلك) حتى يُحافظا تلقائياً - ومن باب أولى - على الصلوات الخمس وفى أوقاتها.. لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾^(١).

(هذا) وأحب - وإتماماً للفائدة - أن أذكر الزوجين المباركين بما فى: الفقه الواضح، ج ١ ص ٩٨، وما بعدها تحت عنوان:

كيفية الغسل

حيث يقول مسترشداً بما ورد فى غسل النبي ﷺ من الأخبار الصحيحة:

عليك أن تغسل كفيك ثلاث مرات قبل إدخالهما فى الإناء... والأولى أن تفرغ الماء بيدك اليمنى، ثم تستنجى حتى ولو لم يكن بقبلك ودبرك نجاسة.. ثم تتوضأ وضوءاً كاملاً... ثم تفرغ الماء على رأسك وتغسله جيداً ثلاث مرات... ثم تغسل عنقك وذراعيك الأيمن، وجنبك الأيمن، ثم تغسل ظهرك وبطنك، ثم تغسل فخذيك إلى أخمص قدميك..

(وبذلك) تكون قد طهرت من الحدثين - الأصغر والأكبر^(٢) - ولك أن تصلى بهذا الغسل من غير أن تجدد الوضوء، فالوضوء طهارة من الحدث الأصغر، والغسل طهارة من الحدث الأكبر.. فيندرج الأصغر فى الأكبر.. (ثم يقول:

ولا تنس أن تخلل شعر رأسك ولحيتك، وأصابع يديك ورجليك، وأن تتبع

(١) النساء، من الآية: ١٠٣.

(٢) أى أنك بهذا ستكون قد توضأت كذلك...

أسارير وجهك، وجفون عينيك، وبواطن أذنك، وجوف سُرَّتكَ، وإبطيك مع التدليك التام مع الماء أو بعده.. وإياك أن تترك موضعاً من جسدك، دون أن يُصبَّيه الماء، فإن أى لمعة فى جسدك - ولو صغيرة - لم يُصبَّها الماء، تجعل الغُسلَ باطلاً.

.. وأما عن :

غُسل المرأة

فإنه كغُسل الرجل، إلا أنها فى حالة الغُسل من الحيض، أو النفاس: ينبغي أن تزيل أثر الدم تماماً بمطهرٍ له رائحة نفاذة، تقضى على رائحة الدم. (فعن) عائشة - رضى الله عنها - أن أسماء بنت شُكل سألت رسول الله ﷺ عن غسل المحيض فقال:

«تأخذ إحداكن ماءها وسِدْرَها^(١) فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصبُ على رأسها فتدلكه ذلكاً شديداً حتى يبلغ شئون رأسها^(٢)، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة مُمسكة^(٣) فتطهر بها».

قالت أسماء: وكيف تطهر بها؟ قال: «سبحان الله! تطهرى بها»، فقالت عائشة - كأنها تخفى ذلك -: تَبَعَى أثر الدم.. وسألته عن غُسل الجنابة؟ فقال: «تأخذ إحداكن ماءها وسِدْرَها فتطهر، فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه ذلكاً شديداً حتى يبلغ شئون رأسها، ثم تُفيضُ عليها الماء». فقالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يُمْنَعُن الحياءُ أن يتفقهن فى الدين.

أخرجه مسلم.

(فقى) الحديث دليل على أنه يُسنُّ فى حق المغتسلة من الحيض، أو النفاس أن تأخذ شيئاً من مسك، أو شيئاً له رائحة طيبة فتضعه فى قطنه، أو خرقة وتدخله

(١) السِّدْرُ: نبات طيب الرائحة.

(٢) أى: جلدة رأسها.

(٣) أى: فيها مسك.

فى فرجها بعد الغُسل، حتى لا يبقى من رائحة الدم شىء يجلب الأذى، ويضر بالبدن.

ثم يقول بعد ذلك فى (الفقه الواضح)^(١)، تحت عنوان:

هل على المرأة أن تفك ضفائرها عند الغُسل؟

أقول: اختلف الفقهاء فى ذلك.. (والحق) أنه لا يجب عليها فكُّ ضفائرها عند الغُسل مطلقاً لما فيه من الحرج والمشقة، والدين مبنى على اليسر ودفع الحرج.. (فعلى) المرأة أن تصب الماء على رأسها صباً غزيراً، حتى يصل إلى جلدة رأسها، وتتيقن من ذلك (فإن) غلب على ظنها أن الماء لم يصل، صبت ماء آخر وآخر حتى يبلغ جلدة رأسها، فإن تحت كل شعرة جنابة..

(وقد) ورد فى حديث شريف عن عُبَيْد الله بن عمير - رضى الله عنه - أنه قال: بلغ عائشة - رضى الله عنها - أن عبد الله بن عمر يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رءوسهن، فقالت: يا عجباً لابن عمر! يأمر النساء إذا اغتسلن بنقض رءوسهن!! أفلا يأمرهن أن يحلقن رءوسهن!! لقد كنتُ أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد، وما أزيد أن أفرغ على رأسى ثلاث إفراغات.

رواه أحمد ومسلم.

.. ثم يشير بعد ذلك إلى:

تنبيهات مهمة

فيقول:

يكفى الغُسل عن جنابة وحيض، ويكفى غسل الجنابة عن غُسل الجمعة، وغُسل العيد إذا نوى الكل.. لكن لا يكفى غُسل الجمعة ولا غُسل العيد عن غُسل الجنابة أو غُسل الحيض والنفاس، فإن غُسل الجنابة والحيض والنفاس فرض، وغُسل الجمعة والعيد سنة.. ولا تجزئ السنة عن الفرض، ولكن تدخل السنة فى الفرض.. كما يشير إلى ملاحظة هامة.. لا بد أن نلاحظها جميعاً..

وهى:

(١) وأيضاً فى (الدين الخالص) ج ١، وفى جميع كتب الفقه.

أن كثيراً من العوام يدخل الحمام ليغتسل، ومعهم اللوفة والصابونة فيتدلك بهما، ثم يخرج وهو يظن أنه قد طهر من جنابته بهذا الغسل (وليس) هذا الغسل مُطَهِّراً له أبداً، وسيظل جنباً مادام يصنع ذلك، ولو عاش خمسين عاماً.. (لأن) ما يصنعه لا يُسمى غسلاً شرعياً، ولكن يُسمى استحماماً. القصد منه التنظيف. (أما) الغسل الشرعى فإنه لا يتحقق إلا بماء مُطلق لم يخالطه شيء كالصابون ونحوه.

.. (فعلى) المسلم إذا أراد أن يغتسل من الجنابة أن يفعل ما فعله الرسول ﷺ فيصب الماء المطلق الخالى من كل ما يُغيره على جسده من أعلى إلى أسفل.. (وبهذا) يكون قد طهر، (وله) بعد ذلك أن يستحم بالصابونة واللوفة.

(وله) أن يستحم أولاً باللوفة والصابون، ثم يُزيل ما علق بجسمه من أثر الصابون. ثم بعد ذلك ينوى رفع الحدث الأكبر ويغتسل الغسل الشرعى المعروف بالماء المطلق.

.. (وهناك) ملاحظة مهمة.. لابد أن نذكر بها الأخت المسلمة - بصفة خاصة - وهى:

* أنه يحرم وضع المساحيق الملونة على الوجه بتلك الصورة المشينة، التى نراها فى وجوه بعض السافرات.. لأنه بالإضافة إلى حرمة فتنه. وتغيير خلق الله.. (وبعضهن) يتركن أظافرهن حتى تَطْلُنَ.. ثم يضعن فوقها سائلاً أحمر كثيفاً - باسم الحضارة - يُعرف باسم (المونوكير) أو (الأكلا دور).. وهذا السائل الأحمر الكثيف يُعدُّ حائلاً بين وصول الماء إلى العضو فى الوضوء والغسل؛ أى أن الوضوء أو الغسل يقع باطلاً ما دام هذا السائل موجوداً على الإصبع، والشرط فى صحة الوضوء ألا يكون هناك حائل يمنع وصول الماء إلى العضو، وكذلك الحال فى الغسل^(١).

(فعلى) الأخت المسلمة أن تلاحظ كل هذا.. حتى تكون إن شاء الله مجتنبية

(١) انظر (الفقه والواضح) ج ١ ص ١٦١ بتصرف وإضافات.

لكل محظور.. وحتى تكون بهذا إن شاء الله زوجة صالحة تستحق دخول الجنة.. والله ولى التوفيق.

*** هذا، وإذا كان قد تم الحمل المبارك فعلاً.. فى الليلة الأولى أو فى أى ليلة مباركة بعد هذا.. بعد أن وصلت (النطفة) إلى رحم الزوجة المباركة.. (فإننى) أحب أن أذكرَ وبإيجاز بما كان وما سيكون بعد هذا.. من خلال قول الله - تبارك وتعالى - فى سورة الحج، فى الآيات ٥، ٧ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنَقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لَتَبَلِّغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّى وَمِنْكُمْ مَّن يَرْدُ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِّن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ . ومن خلال الآية رقم ١٢-١٦ من سورة (المؤمنون):

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِّن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ .

*** ومن خلال حديث شريف صحيح رواه البخارى ومسلم:

* (عن) أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق -: «إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك،

ثم يُرسلُ إليه الملكُ فينفخُ فيه الروحَ، ويؤمرُ بأربعِ كلماتٍ: يُكْتَبُ رُزْقُهُ، وأَجَلُهُ، وعَمَلُهُ، وشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ، فوالله الذي لا إلهَ غيره إن أحدكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ حتى ما يكونُ بينهُ وبينها ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ فيدخلُها، وإن أحدكم ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ حتى ما يكونُ بينهُ وبينها ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ فيدخلُها».

*** (فلقد) قال الإمام النووى فى شرح الأربعين النووية^(١) . . مشيراً إلى أهم ما يتعلق بهذا التذكير الذى ندور حوله :

إن قوله ﷺ: «يُجمع خلقه فى بطن أمه» يُحتمل أن يُراد أنه يجمع بين ماء الرجل والمرأة فيخلق منهما الولد، كما قال تعالى: ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۖ (٢) ﴾، ويحتمل أن المراد به يجمع من البدن كله . .

(وذلك) أنه قيل: إن النطفة فى الطَّور الأول تسرى فى جسد المرأة أربعين يوماً وهى أيام التوحمة، ثم بعد ذلك تُجمع ويُذر عليها من تُربة المولود فتصير (علقة)، ثم يستمر فى الطور الثانى فيأخذ فى الكِبَر حتى تصير (مُضْغَةً) - وسميت مضغة لأنها بقدر اللقمة التى تمضغ - ثم فى الطور الثالث يُصَوِّرُ الله تلك المضغة، ويشق فيها السمع، والبصر، والشم، وألفم، ويصور فى داخل جوفها الحوايا والأمعاء . . قال الله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۖ (٣) ﴾.

ثم إذا تَمَّ الطور الثالث وهو أربعون . . صار للمولود أربعة أشهر، نفخت فيه الروح . . قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ۖ ﴾.

(١) الحديث الرابع . فارجع إليه لكى تنتفع به إن شاء الله تعالى .

(٢) سورة الطارق: ٦، ٧ .

(٣) آل عمران، من الآية: ٦ والأرحام: جمع رحم، وهو العضو الذى ينمو فيه الجنين فى بطن أمه .

يعنى أباكم آدم (ثم من نطفة) يعنى ذريته. والنطفة: المنى، وأصلها الماء القليل، وجمعها: نطاف. (ثم من علقه)، وهو الدم الغليظ المتجمد، وتلك النطفة تصير دمًا غليظًا، (ثم من مضغته)، وهى لحمة (مخلقة وغير مخلقة) قال ابن عباس مخلقة: أى تامة، وغير مخلقة: أى غير تامة بل ناقصة الخلق. وقال مجاهد: مُصورة، وغير مُصورة: يعنى السقط.

(وعن) ابن مسعود - رضى الله عنه - أن النطفة إذا استقرت فى الرحم، أخذها الملك بكفه فقال: أى رب: مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة قذفها فى الرحم دمًا ولم تكن قسمة، وإن قال مُخلقة، قال الملك: أى رب أذكر أم أنثى؟ أشقى أم سعيد؟ ما الرزق، وما الأجل.. بأى أرض تموت؟ فيقال له: اذهب إلى أم الكتاب فإنك تجد فيها كل ذلك، فيذهب فيجدها فى أم الكتاب فينسخها.. فلا تزال معه حتى يأتى إلى آخر صفته.. (ولهذا) قيل: السعادة قبل الولادة... اهـ: باختصار..

** (ويظل) المحمول - المبارك إن شاء الله - فى بطن أمه.. فى رعايته وكفنه سبحانه.. إلى تمام مدة الحمل.. وإلى أن يشاء الله تعالى له الخروج إلى عالم الوجود الدنيوى..

* (وقد) ورد هذا فى نص حديث قدسى، يقول الله تبارك وتعالى فيه: «يا بن آدم جعلت لك قراراً فى بطن أمك^(١)، وغَشَّيتُ وجهك بغشاء^(٢) لئلا تفر من الرحم، وجعلت وجهك إلى ظهر أمك لئلا تؤذيك رائحة الطعام، وجعلت لك متكاً عن يمينك ومتكاً عن شمالك، فأما الذى عن يمينك فالكبد، وأما الذى عن شمالك فالطحال.. وعلمتكم القيام والقعود فى بطن أمك.. فهل يقدر على ذلك غيرى؟! فلما أن تمت مدتك فى بطن أمك.. أوحيتُ إلي الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك فأخرجك على ريشة من جناحه.. لا لك سن يقطع، ولا يد تبطش، ولا قدم تسعى بها، وأنبت لك عرقين رقيقين فى صدر أمك..

(١) أى مستقرًا فى بطن أمك وهو الرحم..

(٢) أى: وغطيت وجهك بغطاء..

يجريان لبنًا خالصًا حارًا في الشتاء، باردًا في الصيف، وألقيت محبتك في قلب أبويك فلا يشبعان حتى تشبع، ولا يرقدان حتى ترقد.. فلما قوى ظهرك، واشتد أزرعك.. بارزتنى بالمعاصي في خلواتك، ولم تستح مني.. ومع هذا.. فإن دعوتني أجبتك، وإن سألتني أعطيتك، وإن تبت إلى قبلتك».

.. (وأعود) فأقول.. إذا كان المحمول هذا.. سيظل في بطن أمه - سعيدًا - إلى أن تحين لحظة خروجه إلى عالم الحياة الدنيا.. (وإذا) كان سيحدث تألم للأم عند الولادة.. أو عسر.. فإنه من السنة.. أن ينفذوا معها ما جاء في (الأذكار) للإمام النووي تحت عنوان

ما يقال عند الولادة وتألم المرأة

(عن) فاطمة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ لما دنا أمر ولادتها، أمر أم سلمة وزينب بنت جحش أن تأتيها فيقرأ عندها: (آية الكرسي)^(١)، ويقرأ قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢). ويعودها بالمعوذتين^(٣).

* ومن الخير أن يدعو لها^(٤) بما ورد في صحيح البخاري ومسلم (عن) ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش».

وفي رواية لمسلم أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر^(٥)، قال: «يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيث».

(١) وهي رقم ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) وهما: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس.

(٤) أى زوجها.. أو أحد أفراد أسرته من الصالحين والصالحات..

(٥) أى: نزل به أمر أو أصابه غم.

رواه الترمذى، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

*** وإذا كان المولود - إن شاء الله - سيولد باكياً فى الوقت الذى سيكون فيه أهله فى فرح وسرور^(١) .. (فإننى) أرجو أن نتذكر وقتئذ قول الشاعر الحكيم:

ولدتك أمك يابن آدم باكياً
والناس حولك يضحكون سروراً
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا

فى يوم موتك ضاحكاً مسروراً

* (إنه) يعنى بهذا.. أن تكون فى يوم موتك - بسبب ما قدمت لنفسك من أعمال صالحة - كسيدنا بلال - رضى الله عنه - الذى روى أنه وهو يحتضر.. كانت ابنته تبكى بجواره، وهى تقول:

وا أبتاه.. وا كرباه... وا حزناه.. (فانتبه) وهى تقول هذا.. فزجرها ونهرها.. ثم قال لها: لا تقولى ذلك؛ لاكرب على أهلك بعد اليوم.. اليوم نلقى الأحبة.. محمداً وحزبه.

*** (كذلك) نرجو من الإخوة المحيطين بهذا المولود ساعة مولده.. أن يلاحظوا أيضاً ما قاله الشاعر الآخر:

وفى قبض كفّ الطفل عند ولاده
دليل على الحرص المركّب فى الحى
وفى بسطه عند الممات إشارة
ألا فانظروا إنى خرجت بلاشى

بداية رحلة الرجوع إلى الله تبارك وتعالى

.. وأحب أن أذكر كذلك - هنا - بأن المولود المبارك الذى وُلد قد بدأت رحلته إلى الآخرة من اللحظة التى خرج فيها من بطن أمه إلى عالم الحياة الدنيا.. (وإلى) هذا يشير لقمان الحكيم، فى وصية من وصاياه لولده:

(١) وهذا هو ما سيحدث غالباً.

* (يابني إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة فدار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل).

** (وهذا) القول الحكيم ينسحب علينا نحن كذلك من يوم أن ولدنا . . (فلتتعظ) جميعاً بهذا . . ولنحرص جميعاً على أن نكون على أتم استعداد للحظة الرحيل إلى الله - تبارك وتعالى . . إن عاجلاً وإن آجلاً . . والله ولى التوفيق .

** ثم بعد ولادة الطفل من السنة أن: تؤذن في أذنه اليمنى ، وتقيم الصلاة في أذنه اليسرى .

* (ففى) سنن أبى داود والترمذى وغيرهما (عن) أبى رافع - رضى الله عنه - مولى رسول الله ﷺ ، قال: رأيت رسول الله ﷺ أذّن في أذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة بالصلاة^(١) رضى الله عنهم .

قال الترمذى: حديث حسن صحيح .

* (قال) فى الأذكار للنووى :

وقد روينا فى كتاب ابن السنى عن الحسين بن على - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأُذِّنْ فِي أُذُنِهِ الْيَمْنَى وَأُقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيَسْرَى لَمْ تَضُرْهُ أُمُّ الصَّبِيَّانِ»^(٢) .

** ومن السنة بعد ولادة الطفل :

الدعاء عند تحنيك الطفل

* (ففى) سنن أبى داود (عن) عائشة - رضى الله عنها - قالت: «كان رسول الله ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم ويحنيهم»، وفى رواية: «فيدعو لهم بالبركة» .

* وفى صحيح البخارى ومسلم (عن) أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنهما

(١) أى بالأذان الذى يؤذن المؤذن به عند ما يحين وقت الصلاة . . وهو الذى أوله: الله أكبر، وآخره: لا إله إلا الله ، (ثم) أقام ذلك للصلاة فى أذنه اليسرى .

(٢) أم الصبيان: هى الريح التى تعرض للولد، فرمما يخشى عليه منها، وقيل: هى التابعة من الجن، وهى المسماة عند الناس بالقرين .

- قالت: (حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، فأُتيت المدينة، فترلتُ قبَاء، فولدت بقباء^(١))، ثم أُتيت به النبي ﷺ، فوضعتَه في حجره، ثم دعا بتمرَة فمضغها ثم تفل في فيه^(٢))، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنَّكه بالتمرَة، ثم دعا له وبارك عليه).

* (وورد) كذلك في صحيح البخارى ومسلم (عن) أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال: (وُلِدَ لى غلام فأُتيتُ به النبي ﷺ، فسماه إبراهيم وحنَّكه بتمرَة ودعا له بالبركة)، هذا لفظ البخارى ومسلم إلا قوله: (ودعا له بالبركة) فإنه للبخارى خاصة.

. . ثم بعد ذلك يقول الإمام النووى فى كتابه الأذكار . . تحت عنوان:

كتاب الأسماء- باب تسمية المولود

السُّنة: أن يُسمَى المولود فى اليوم السابع من ولادته، أو يوم الولادة. . وأما استحبابه يوم السابع، فلمَّا روينا فى كتاب الترمذى:

* (عن) عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ: أمر بتسمية المولود يوم سابعه، ووضع الأذى، والعق عنه.

قال الترمذى: حديث حسن.

* (ورويانا) فى سنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرها بالأسانيد الصحيحة (عن) سمرة بن جندب - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «كل غلام رهين بعقيقته، تُذبحُ عنه يوم سابعه ويحلق ويُسمَى».

قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

(وأما) يوم الولادة فلما روينا فى الباب المتقدم من حديث أبى موسى .

(١) بالمدينة المنورة.

(٢) أى بصق فى فيه بريقه المبارك، صلوات الله وسلامه عليه.